بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}.

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا }.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما }(1)... أما بعد :

فمن المعلوم أن الرَّمَل سنة من سنن الطواف (2) وله قصة معروفة يوضحها قول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كما في

---

[1] من السنة الإفتتاح بهذه الآيات في الدروس والخطب والمواعظ وتأليف الكتب .. وتسمى بـ (خطبة الحاجة):

قال الشيخ الفاضل سمير بن أمين الزهيري في تحقيقه لـ"بلوغ المرام" ص293:

ولشيخنا - حفظه الله تعالى - رسالة في هذه الخطبة أسماها : " خطبة الحاجة التي كان رسول الله -ﷺ- يعلمها أصحابه " . وهي مطبوعة متداولة ، وقد كان لهذه الرسالة الأثر الطيب في نشر هذه السنة بين الناس ، أسأل الله عز وجل أن يثيب مؤلفها خيرا.

ثم طبعت هذه الرسالة بعد وفاة شيخنا - رحمه الله - لدى مكتبة المعارف بالرياض ، ومن ميزات هذه الطبعة أن أُلحق بها تعقيب للشيخ على بعض من وقف في طريق هذه السنة !!

وهو تعقيب علمي نفيس تقر به أعين أهل السنة .

- ويقصد هنا بشيخه العلامة الألباني ؛ إذ الشيخ سمير من تلاميذ الشيخ الأوفياء البارين ولا نزكيه على الله رب العالمين .

[2] في أول طواف للحاج أو المعتمر إذا دخل مكة المكرمة زادها الله شرفاً ومتعنا بزيارتها .

البخاري[3]:

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ لِلرُّكْنِ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ ، وَلاَ تَنْفَعُ وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ- اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ قَالَ فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ ثمَّ قَالَ شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ.

وأما قصة الصحابة مع المشركين فهي كما في"عمرة القضاء":

فقد روى مسلم (3118) [4]عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَصْحَابُهُ مَكَّةَ وَقَدْ وَهَنَتْهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ. قَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ غَدًا قَوْمٌ قَدْ وَهَنَتْهُمُ الْحُمَّى وَلَقُوا مِنْهَا شِدَّةً. فَجَلَسُوا مِمَّا يَلِى الْحِجْرَ وَأَمَرَهُمُ النَّبِىُّ -ﷺ- أَنْ يَرْمُلُوا ثَلاَثَةَ أَشْوَاطٍ وَيَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ لِيَرَى الْمُشْرِكُونَ جَلَدَهُمْ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلاَءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلاَّ الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

قال جامعه :

ومع كون هذا الحكم قد زالت علته بالنسبة إلى أهل ذلك الزمن المبارك إلا أنهم واصلوا هذا الإقتداء بنبينا الكريم -ﷺ- لأنه لم يتركه بل فعله أيضاً وأمر به في حجة الوداع وفي هذا ما يدل على صدقه ونبوته وأنه رسول من رب العالمين ويعلم بالوحي ما لا يعلمه غيره من الناس .

ووجه ذلك أنه مع استمراره في الرّمَل فقد فعله ثلاثة أشواط كاملة [5] فما السر في ذلك يا ترى؟

يقول الشيخ عبدالكريم الخضير في شرحه على "البلوغ" [6] : " ... يَرْمُلُوا: بمعنى أنهم يهرولون في الأشواط الثلاثة ، وأن

---

[3]برقم (1605) ضمن باب : الرمل في الحج والعمرة .

[4] ورواه الشافعي في مسنده (884).

[5] من بداية الشوط إلى نهايته : من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود .

[6] (142/1) - طبعة الشاملة - .

يمشوا الأربعة الباقية ، وأن يمشوا ما بين الركنين، وهذا في عمرة القضاء ؛ لأن المشركين مما يلي الحجر، لا يرونهم إذا مشوا بين الركنين، وعرفنا أنه في حجة الوداع استوعب من الركن إلى الركن الشوط كامل بالرمل، والعلة التى من أجلها شرع الرمل ارتفعت[7]، وبقي الحكم كعلة القصر سببها الخوف ثم ارتفع الخوف وأمن الناس واستمر الحكم .انتهى.

ويقول **الإمام العلامة ابن عثيمين** - رحمه الله ورفع درجته-:

" والرمَل ليس هو هز الكتفين كما يفعله الجهال، بل الرمَل هو المشي بقوة ونشاط، بحيث يسرع، لكن لا يمد خطوه، والغالب أن الإنسان إذا أسرع يمد خطاه لأجل أن يتقدم بعيداً، لكن في الطواف نقول: أسرع بدون أن تمد الخطا بل قارب الخطا.
فلما رأت قريش رسول الله-ﷺ- وأصحابه يرملون هذا الرمل قالوا: إنهم أشد جرياً ومشياً من الغزلان الظباء، فغاظهم ذلك وحزنوا، حيث كانوا يتوقعون في الأول أنهم ضعفاء فتبين أنهم أقوياء [8] .
ولكن كان الرمل في عمرة القضاء من الحجر الأسود إلى الركن اليماني [9] ، ثم يمشون ما بين الركنين، لأنهم إذا انحرفوا عن الركن اليماني غابوا عن أنظار قريش[10]، فأراد النبي - صلى الله عليه وسلّم- أن يبقي على قوتهم، وأن يمشوا ما بين الركنين ، فلطف بهم النبي-ﷺ- من وجهين:
الأول: أنه خص الرمل بالأشواط الثلاثة الأولى فقط.

---

[7] بل العلة باقية - كما سيأتي بيان وجه ذلك - ، وإنما يقال هذا في زمن الصحابة والتابعين ونحو ذلك أما الآن فلا لأنها تجددت من خلال البث التلفزيوني المباشر .
[8] أخرجه البخاري في الحج: باب كيف كان بدء الرمل (1602)؛ ومسلم في الحج : باب استحباب الرمل (1266) عن ابن عباس - رضي الله عنهما -.
[9] التخريج السابق .
[10] تأمل هذه العلة - بارك الله فيك - وقارن بما سيأتي ص(5-6) - إن شاء الله -.

الثاني: أنه أمرهم أن يمشوا ما بين الركنين، الركن اليماني والحجر الأسود.

فهذا أصل مشروعية الرمل، ولكن هل يقال: إنه بعد فتح مكة وعز الإسلام يرتفع هذا الحكم، لارتفاع سببه، أو نقول إن هذا الحكم باق؟.

الجواب: الثاني، فإن عمر ـ رضي الله عنه ـ أورد على نفسه هذا الإيراد وقال: فيم الرمل الآن وقد أعزنا الله؟.

ثم أجاب نفسه: أنه شيء فعله النبي-ﷺ- لابد أن نفعله [11] .

وذلك لأنه في حجة الوداع قد زال السبب ، وهو إغاظة المشركين إذ ليس هناك مشرك حتى يغاظ، ومع هذا أبقاه النبي- صلّى الله عليه وسلّم- مع زيادة على الرمل في عمرة القضاء، حيث كان الرمل في حجة الوداع من الركن إلى الركن أي في كل الأشواط الثلاثة [12] ، حتى ما بين الركنين رمل النبي -ﷺ-، وفي عمرة القضاء من الركن إلى الركن اليماني فقط، فدل ذلك على بقاء المشروعية.

فإن قال قائل: كيف تبقى المشروعية وقد زال السبب؟ والحكمة تقتضي أنه بزوال السبب يزول المسبب، وبزوال العلة يزول المعلول؟

فالجواب: أن العلة وإن كانت إغاظة المشركين ولا مشركين الآن، لكن ليتذكر الإنسان أن المسلم يُطْلَبُ منه أن يغيظ المشركين، فينبغي لك أن تشعر عند الرمل في الطواف، كأن أمامك المشركين[13]؛ لأجل أن تغيظهم[13]؛ لأن غيظ المشركين مما يقرب إلى الله ـ عزّ وجل ـ قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ} [التوبة: 120]" [14] .انتهى.

---

[11] أخرجه البخاري في الحج: باب الرمل في الحج والعمرة (1605).

[12] كما في حديث جابر في صفة حجة النبي ـ ﷺ ـ .

[13] بل هو أمامهم كأنهم أمامه ـ من حيث المشاهدة ـ وهذا من خلال البث التلفزيوني المباشر .

[14] "الشرح الممتع ..." (7/242-244).

قال جامعه : جزى الله الشيخ الخضير خيراً ، ورحم الله فقيه الزمان العلامة العثيمين فهو - بحق - جبل من جبال العلم النوابغ وواحد من أئمة السلفيين القلة .

لكن ما ذكره هنا من استحضار إغاظة المشركين يحصل حتى ولو اكتفى النبي - ﷺ - بالرمل على نفس الكيفية الأولى أي : باستثناء ما بين الركن اليماني والحجر الأسود [15].

فما السر في استقرار الأمر على الرمل في الأشواط الثلاثة الأولى كلها ؟

السر في ذلك قد فتح الله تعالى عليّ به وهو :

أن هذه العلة لا زالت صالحة إلى زماننا هذا فهناك الآن بث مباشر من المطاف [16] خصوصاً والمسجد الحرام وساحاته عموماً يجعل حجاج بيت الله وعمّاره يراؤون أعداء الله في كل دقيقة وثانية ويجعل إغاظة المشركين سارية المفعول إلى هذه اللحظة بل هي باقية ما بقي هذا البث التلفزيوني : حيث يُشاهَد الطائفون ببيت الله من قبل أهل الأرض كلِّهم عربهم وعجمهم وعلى نطاق واسع وحتى عبر "الإنترنيت" .

وهذا دليل على أن الحكم الشرعي قد يكون معللاً لدى قوم وتعبدياً لدى آخرين ؛ بحسب ظهور العلة وخفائها وتطور الأحداث وتفاصيلها :

فالرّمَل الأول معلل عندهم بإغاظة كمشة من مشركي مكة كانوا جالسين في جبل قعيقعان [17] مما يلي الحجر ، ثم الذي استقر عليه

---

[15] ونفسه يقال فيما ذكره الشيخ العباد كما سيأتي عنه ص (6).

[16] تظهر من خلاله جميع جهات البيت ويشاهدها أهل الدنيا جميعاً فجزى الله القائمين عليها خيراً.

[17] كما صرح بذلك الصنعاني في "السبل"(205/2) .

- وقد أزيل هذا الجبل بسبب التوسعة الأخيرة الجارية الآن التي باشرها خادم الحرمين الشريفين - وفقه الله - ، وقد كان هذا المكان يُعرَف عند من ذهب إلى مكة بـــ(سوق الليل) .
- وفي مسند الشافعي برقم(884) : "... كانوا جلوسا في الحجر " ومثله في "عون المعبود"(343/5) بينما رواية مسلم (1266) ومستخرج أبي نعيم عليه (2921) : =

الأمر أنه تعبدي لأن الصحابة والسلف فعلوه مع زوال العلة في نظرهم - هم - ثم هو الآن معلل عندنا وقد ظهر لنا ما يبين علته ويظهر حكمته .

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله .

فالله العظيم نسأل وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا نتوسل أن يرزقنا علماً نافعاً وعملاً صالحاً وبدنا على البلاء صابراً ...

آمين .

وكتب : العبد الفقير إلى عفو الله العلي الكبير حامداً لله مصلياً على رسوله - ﷺ -.

حاسي بحبح : في ليلة ثاني عيد الأضحى المبارك 1434 هـ
على الساعة 22:00.
وزدت فيه زيادات آخرها يوم :1434/12/17هـ

= (مما يلي الحجر) وعند الطبراني (11909) : (وَالْمُشْرِكُونَ عِنْدَ بَابِ النَّدْوَةِ مِمَّا يَلِي الْحَجَرِ).
والجمع بين الأمرين - على فرض ثبوت ما قاله الشافعي - سهل جداً وهو :
أن بعضهم كانوا جلوساً في الحجر وبعضهم كان على جبل قعيقعان أو باب الندوة - مقابل الحجر- وكلا الفريقين لا يرى المسلمين بين الركن اليماني والحجر الأسود لأن البيت يحجبه عنهم .
وهذا على فرض ثبوت كلام الشافعي وإلا فظواهر النصوص تدل على أنهم كانوا مقابل الحجر (مما يليه) وهذا لا يقال عن الجالس فيه .

قال الشيخ العلامة عبدالمحسن العباد في شرحه لـ"سنن أبي داود"(393/9) - الشاملة - :
" فالنبي - ﷺ- لما قدم هو وأصحابه في عمرة القضاء سنة سبع، كان الكفار جالسين في الجهة التي وراء الحجر يتحدثون ويقولون: إنه يقدم عليكم قوم وهنتهم حمى يثرب، فالنبي - ﷺ - أمر أصحابه أن يسرعوا وأن يرملوا في الأشواط الثلاثة، وإذا كانوا بين الركنين - حيث تحجز الكعبة بينهم وبين الكفار الذين يتحدثون بهذا الحديث - أمرهم أن يمشوا؛ شفقة عليهم ، ورفقاً بهم، ولما كان في حجة الوداع رمَل من الحجر إلى الحجر، وهذا الفعل فيه تذكير بما كان عليه المسلمون أولاً، وما كان من الكفار في من معاداة المسلمين وإيذائهم، وهذه سنة مستمرة، وهذه إحدى السنن التي تتعلق بالطواف، فأول ما يقدم الإنسان سواء كان معتمراً أو حاجاً فإنه يطوف طواف القدوم". انتهى .
وله كلام نحوه في نفس الشرح المذكور : (350/27)، و(207/28).